بعد مرور ستة أشهر: كيف فضحت الحرب على غزة حدود النفوذ الأمريكي؟

كتبه كارين دي يونج | 10 أبريل ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

بعد فجر يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، شاهد الرئيس بايدن صورًا تلفزيونية حية لصواريخ تنهمر على إسرائيل من غزة، بينما أطلعه كبار مساعديه على مسلحي حماس الذين كانوا يجتاحون بلدات وقرى جنوب إسرائيل. وتركت جثث الموتى والمشوهة متناثرة على الأرض، فيما يتم سحب الرهائن عبر الحدود إلى داخل القطاع الفلسطيني.

وقال بايدن في وقت لاحق من ذلك اليوم في بيان قوي من غرفة الطعام الرسمية بالبيت الأبيض إنه تحدث بالفعل عبر الهاتف مع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو. وأعلن بايدن: "الولايات المتحدة تقف إلى جانب إسرائيل... لن نفشل أبدًا في دعمهم"، واصفًا دعم إدارته للأمن الإسرائيلي بأنه "صلب للغاية ولا يتزعزع".

وقال الرئيس إن أوامر لمسؤولي الدفاع والمخابرات الأمريكيين "بالتأكد من أن إسرائيل لديها ما تحتاجه" للدفاع عن نفسها ضد هجوم حماس الإرهابي. وكانت الطائرات الحربية الإسرائيلية أمريكية الصنع تقصف بالفعل داخل غزة.

ولم يكن هذا هو المشهد الأول من نوعه للمذبحة التي يتعرض لها المسؤولون الأمريكيون الحاليون والسابقون من ذوي الخبرة الطويلة في الشرق الأوسط المضطرب، والذين شهدوا عقودًا من المعارك العرضية بين إسرائيل وأعدائها في المنطقة. وفي اليوم الذي بدأت فيه الحرب في غزة قبل ستة أشهر يوم الأحد، اعتقدوا أنها ستنتهي على الأرجح في غضون أسابيع، أو على الأكثر في غضون شهرين، بالتأكيد بحلول عيد الميلاد.

وبعد ذلك؛ قُتل عشرات الآلاف من المدنيين الفلسطينيين، وتستمر الحرب بلا هوادة إلى حد كبير. وتشعر إدارة بايدن بالإحباط والغضب أحيانًا من حكومة نتنياهو التي تجاهلت في كثير من الأحيان نصيحتها بشأن كيفية إجراء عمليات عسكرية في غزة ورفضت علنًا الرؤى الأمريكية للسلام الدائم، وتجد نفسها الآن في طريق مسدود سياسي لا يمكن الخروج منه، ولا يوجد طريق للخروج سهل.

هذه الرواية للأشهر الستة الماضية من الحرب الوحشية والدبلوماسية الصعبة تأتي من التقارير السابقة طوال فترة الصراع، والتصريحات العامة الأخيرة والمقابلات مع خبراء إقليميين والعديد من كبار المسؤولين في الإدارة، الذين تحدث بعضهم بشرط عدم الكشف عن هويتهم لوصف المداولات

الداخلية.

لقد قُتل العديد من مقاتلي حماس، لكن الآلاف ما زالوا منخرطين في القتال، ويُعتقد أن كبار قادتهم مختبئون – إلى جانب العديد من الرهائن المتبقين – في أنفاق عميقة تحت الأرض. وبينما تناشد الولايات المتحدة وحلفاؤها في المنطقة وقف إطلاق النار للسماح بإطلاق سراح الرهائن وتدفق المساعدات إلى سكان غزة الذين يعانون من الجوع؛ فإن الجانبين يخوضان ما يعتبرانها معركة وجودية.

لقد تحول جزء كبير من غزة، وهي قطعة أرض تعادل مساحة لاس فيغاس ويبلغ عدد سكانها ثلاثة أضعاف عدد السكان، إلى أنقاض بسبب الهجمات الجوية والبرية الإسرائيلية. وقد نزح معظم سكانها البالغ عددهم 2.2 مليون نسمة بسبب القتال، وفرَّ العديد منهم إلى منطقة حول مدينة رفح الواقعة في أقصى الجنوب، حيث يعيشون في مخيمات بائسة مع القليل من الطعام بل وأمل أقل.

لقد تحول الدعم الدولي لإسرائيل في أعقاب غزو حماس المباشر – والذي شهد مقتل حوالي 1200 إسرائيلي واحتجاز حوالي 250 رهينة – إلى غضب واتهامات بارتكاب جرائم حرب إسرائيلية. بالنسبة لجزء كبير من العالم؛ فإن دعم الولايات المتحدة للمجهود الحربي الإسرائيلي قد ترك الإدارة في موقف حرج أخلاقيًا، بل ومتواطئة في الدمار والموت.

في الداخل؛ في سنة انتخابية مثيرة للجدل بالفعل، وجد بايدن نفسه عالقًا بين الحزب الجمهوري الذي يطالب بدعم إسرائيل بأي ثمن، وأعداد متزايدة من الديمقراطيين الذين يطالبونه بوقف التدفق المستمر للأسلحة المرسلة إلى القدس. وكثيرًا ما تتعطل حملاته الانتخابية بسبب الاحتجاجات المؤيدة للفلسطينيين.

ويؤكد مسؤولو الإدارة أن الأمور، على الرغم من سوئها، كانت ستصبح أسوأ لو لم ينجحوا في الضغط من أجل إحداث تغييرات في تكتيكات الحرب الإسرائيلية، وإقناع نتنياهو برفع الحظر الذي تفرضه حكومته على جميع إمدادات الغذاء والماء والوقود إلى غزة. وكانت المفاوضات التي أسفرت عن وقف إطلاق النار لمدة أسبوع في تشرين الثاني/ نوفمبر، وأعادت حوالي نصف الرهائن إلى الوطن، بمثابة نقطة مضيئة؛ حيث كانوا يأملون أن يتبعها توقف أطول وأكثر أهمية في القتال.

وقال مارتن غريفيث، كبير مسؤولي الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، في بيان يوم السبت: "لقد وصلنا إلى مرحلة رهيبة. بالنسبة لشعب غزة، جلبت الأشهر الستة الماضية من الحرب الموت والدمار، والآن الاحتمال المباشر لحدوث مجاعة مخزية من صنع الإنسان. وبالنسبة للأشخاص المتضررين من الرعب الدائم الذي خلفته هجمات 7 تشرين الأول/ أكتوبر، فقد مرت ستة أشهر من الحزن والعذاب".

تاريخ من النفوذ

كانت الولايات المتحدة أول دولة في العالم تعترف باستقلال إسرائيل في أيار/ مايو 1948، ولكن حتى مع قيامها بتزويد إسرائيل بالأسلحة للدفاع عن نفسها لفترة طويلة، فقد مارست ضغوطًا في بعض الأحيان على إسرائيل للتوقف عن استخدامها. وعندما احتلت القوات الإسرائيلية أجزاء من سيناء، تحدى الرئيس دوايت د. أيزنهاور في أوائل سنة 1957 معارضة الكونجرس وهدد بفرض عقوبات تجارية وتعليق المساعدات العسكرية إذا لم تنسحب. نجح الأمر؛ وأنقذت القوات الإسرائيلية الجيش الثالث المصري المحيط بها وغادرت المنطقة الصحراوية.

وأدت الدبلوماسية المكوكية التي قام بها هنري كيسنجر خلال رئاسة ريتشارد نيكسون في نهاية المطاف إلى إنهاء حرب سنة 1973 بين إسرائيل ومصر من خلال اتفاق الأرض مقابل السلام الذي أدى إلى أن تصبح مصر أول دولة عربية تعترف بإسرائيل كدولة شرعية. وفي أوائل سنة 1991، أرغمت الولايات المتحدة إسرائيل بقوة على عدم الرد على هجمات صواريخ سكود التي شنها صدام حسين على أراضيها، خوفًا من صراع أوسع في الشرق الأوسط، وقالت إنها ستتعامل مع صدام بنفسها.

ومنذ سيطرة حماس على غزة بعد فوزها في الانتخابات البرلمانية سنة 2006، انخرطت على الأقل في أربعة صراعات منفصلة ومباشرة قصيرة نسبيًا مع إسرائيل. واقتصر التدخل الأميركي على الدفاع عن حق إسرائيل في الأمن وحمايتها من الرقابة في الأمم المتحدة.

لكن ظروف الصراع الحالي، والدمار الذي أحدثه، وطول الفترة التي استغرقها، سلطت ضوءًا قاسيًا على القيود المفروضة على أي سيطرة ربما اعتقدت الولايات المتحدة أنها تمتلكها على تصرفات إسرائيل.

رجل يدفع دراجة هوائية وهو يمشي وسط أنقاض المباني في المنطقة المدمرة المحيطة بمستشفى الشفاء في غزة يوم الأربعاء.

وقال آرون ديفيد ميلر من مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، وهو دبلوماسي سابق أمضى ما يقرب من ثلاثة عقود في العمل على العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية في كل من الإدارات الجمهورية والديمقراطية: "إن تأثير أي طرف خارجي – حتى الطرف الذي يتمتع نظريًا بقدر هائل من التأثير على إسرائيل – محدود".

وقال ميلر: "إن الشرق الأوسط مليء حرفيًا ببقايا القوى العظمى التي اعتقدت أن بإمكانها فرض حدودها"، على تصرفات أولئك الذين يعيشون هناك.

إن عوامل كثيرة تجعل هذا الوضع فريدًا، فعلى الرغم من أن علاقة بايدن معقدة مع نتنياهو، يقال إن الرئيس لديه التزام شخصي عميق الجذور تجاه إسرائيل يعود إلى سنواته الأولى كعضو في مجلس الشيوخ الأمريكي، لكن جيفري فيلتمان من معهد بروكينغز، الذي شغل منصب المسؤول الأول عن الشرق الأوسط في وزارة الخارجية في إدارة أوباما قبل أن يصبح وكيل وزارة الأمم المتحدة للشؤون السياسية، قال إن نتنياهو "يحاول إنقاذ جلده السياسي من خلال المعارضة الأدائية لبايدن في نهجه تجاه غزة".

وقال فيلتمان إن فقدان الدعم الأمريكي في الماضي "سيكون عقبة لا يمكن التغلب عليها تقريبًا بالنسبة للسياسي الإسرائيلي". وعلى عكس تدخلات واشنطن السابقة لتحقيق السلام بين إسرائيل وجيرانها العرب؛ فإن الولايات المتحدة ليس لديها أي نفوذ على الإطلاق ضد حماس، وهي منظمة إرهابية لا تزال تحتجز ما يصل إلى 100 رهينة، بما في ذلك حفنة من الأميركيين.

رسالة متنافرة

وحتى عندما بدأ التدافع في واشنطن لتحديد ما يجب فعله بشأن غزة، كان فريق الأمن القومي الأعلى في الإدارة مهتمًا بالقدر نفسه، إن لم يكن أكثر، بشأن منع اندلاع أزمة إقليمية أوسع نطاقًا، فقد تميل الجماعات الإسلامية المسلحة الأخرى المدعومة من إيران – حزب الله في لبنان، والميليشيات الوكيلة في سوريا والعراق، والحوثيين في اليمن – إلى استغلال الفرصة لفتح جبهة جديدة على حدود إسرائيل.

وبعد أسبوع واحد فقط من هجوم حماس على إسرائيل، أرسل وزير الدفاع لويد أوستن مجموعتين من حاملات الطائرات والآلاف من القوات الأمريكية إلى شرق البحر الأبيض المتوسط كتحذير للآخرين.

لكن غضب الرد الإسرائيلي داخل غزة سرعان ما أصبح من المستحيل تجاهله. وفي 18 تشرين الأول/ أكتوبر، وصل بايدن إلى إسرائيل، وهي أول زيارة رئاسية أمريكية خلال فترة الحرب، لإظهار الدعم الأمريكي مع تذكير نتنياهو بأن "الديمقراطيات مثل إسرائيل والولايات المتحدة تكون أقوى وأكثر أمانًا عندما نتصرف وفقًا لسيادة القانون".

وقال أحد المسؤولين الأمريكيين إن الهدف الأساسي من رحلة بايدن هو كسب الوقت لإسرائيل "للتفكير مليًّا في هذا الأمر".

وكان نتنياهو ومجلسه الحربي يخططان لشن هجوم بري واسع النطاق على غزة، حيث قتلت الغارات الجوية بحلول ذلك الوقت أكثر من 3000 فلسطيني، وفقًا للسلطات الصحية المحلية، وترك الحصار الإسرائيلي الملايين دون طعام أو ماء كاف. وكانت إدارة بايدن قد عينت على الفور تقريبًا دبلوماسيًا متمرسًا، هو ديفيد ساترفيلد، مبعوثًا لها للقضايا الإنسانية في غزة، بهدف عاجل هو توصيل المزيد من المساعدة للمدنيين المحاصرين.

لكن الضغوط المتعارضة التي عصفت بالسياسة الأمريكية منذ بدء الأزمة كانت واضحة بالفعل في حدثين تزامنا مع زيارة بايدن. وفي نفس اليوم الذي التقى فيه الرئيس الأمريكي بنتنياهو، استخدمت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضد قرار لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يدعو إلى وقف إطلاق النار. وكانت الدولة الوحيدة التي صوتت ضد هذا الإجراء.

وبعد يومين؛ ادعى بايدن الفضل في الضغط على إسرائيل للسماح لأول 20 شاحنة مليئة بالمساعدات بدخول غزة. وكان التنافر بين الرسالة واضحًا: المضي قدما وشن حرب شاملة، ولكن حاول القيام بذلك بشكل إنساني. وبعد فورة النشاط الأولية في تشرين الأول/ أكتوبر، بدأت عناصر الأزمة في تكرار نفسها.

طائرة مقاتلة تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي من طراز إف-15 تحلق على ارتفاع منخفض بالقرب من جيديرا، إسرائيل، في 27 آذار/ مارس/آذار.

كل بضعة أسابيع، كان وزير الخارجية أنتوني بلينكن يسافر إلى إسرائيل للتعبير عن القلق المتزايد بشأن أعمال الحرب الإسرائيلية، وإلى الدول العربية المجاورة لمحاولة إقناعهم بالمساعدة في إيجاد طريقة لصياغة خطة سلام بعد الحرب لا يمكن لإسرائيل رفضها.

وبحلول أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر، وبينما كانت إسرائيل تستعد لنقل حملة الأرض المحروقة في شمال غزة إلى الجزء الجنوبي من القطاع حيث انتقل قسم كبير من السكان، بدأ كبار المسؤولين في الإدارة في التعبير عن مخاوفهم بشكل علني أكثر. وقال جون كيربي المتحدث باسم الأمن القومي بالبيت الأبيض للصحفيين "كنا واضحين مع الإسرائيليين بأننا لا ندعمهم في المضي قدمًا في العمليات في الجنوب ما لم تكن لديهم خطة للتعامل مع العدد المتزايد الآن للمدنيين هناك".

لا يمكنهم أن يفعلوا في الجنوب "ما فعلوه في الشمال"، على حد تعبير مسؤول كبير في الإدارة خلال الأسبوع الأخير من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، عندما تجاوز عدد القتلى المعلن في غزة 13 ألف. وقال المسؤول إن الإدارة كانت تضغط من أجل "مناطق خفض التوتر" حيث يكون سكان غزة الذين يبحثون عن مأوى "محصنين من النشاط الحركي"، وحثت الجيش الإسرائيلي على استخدام ذخائر أصغر حجمًا وأكثر دقة.

وقال مسؤولون إن إسرائيل "تقبلت" الرسالة. ولكن في زيارة للقوات داخل شمال غزة في ذلك الأسبوع، بدا أن نتنياهو لم يستمع، وقال: "سنواصل حتى النهاية، حتى النصر. لن يوقفنا شيء".

وفي الوقت نفسه؛ ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" أن إدارة بايدن تواصل إرسال كميات هائلة من القنابل والذخائر الأخرى إلى إسرائيل.

وبعد انهيار وقف إطلاق النار المؤقت وإعادة الرهائن الجزئية في مطلع شهر كانون الأول/ ديسمبر، وسط تجدد الهجمات الصاروخية التي تشنها حماس على إسرائيل، أوفى نتنياهو بوعده. ومع تحرك الدبابات والقوات البرية الإسرائيلية لمحاصرة مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، تزايدت الوفيات في صفوف المدنيين خلال شهر كانون الثاني/ يناير، وانخفض عدد شاحنات المساعدات التي سُمح لها بالدخول.

وفي أقوى انتقاد علني له حتى تلك اللحظة، قال بايدن في 11 شباط/ فبراير إن إسرائيل تفقد الدعم الدولي بسبب "قصفها العشوائي" لغزة.

ومع اقتراب عدد القتلى من 28 ألفًا، قال بايدن للصحفيين بعد محادثة هاتفية مع نتنياهو إن الحملة الإسرائيلية "تجاوزت الحدود". وقال مسؤول كبير أطلع الصحفيين بعد المكالمة إن حماية المدنيين كانت "نقاشًا مستمرًا بيننا وبين الإسرائيليين"، حتى عندما شارك بايدن هدفهم المتمثل في هزيمة حماس.

وفي شهر آذار/ مارس، واجه بلينكن والقادة الإسرائيليون بعضهم البعض مرة أخرى في تل أبيب حول مستقبل الحرب، وارتفع عدد القتلى في غزة إلى 31 ألفا.

وذكر تقرير مدعوم من الأمم المتحدة أن المجاعة ربما تكون قد وصلت بالفعل إلى المنطقة الشمالية وأن أكثر من نصف سكان الجيب يواجهون مستويات كارثية من الجوع. وحث وزير الخارجية الأمريكي إسرائيل على عدم غزو رفح التي تحتضن 1.4 مليون مدني وليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه. وقال نتنياهو بتحد: "سنفعل ذلك بأنفسنا".

تغيير في النغمة

وأكد مسؤولو الإدارة في الأسبوع الماضي أنه تم إحراز بعض التقدم منذ بداية السنة انخفاض في عدد القوات الإسرائيلية المنتشرة داخل غزة، وعدد أقل من الغارات الجوية العشوائية وزيادة تدريجية في عدد الشاحنات التي تحمل المساعدات.

ولكن في الأيام الأخيرة، ومع اقتراب الذكرى الشهرية السادسة، تغير فحوى مناشدات الإدارة لإسرائيل من التلويح بأصابع الاتهام إلى الاستياء الغاضب. وفي 25 آذار/ مارس، امتنعت الولايات المتحدة للمرة الأولى عن التصويت على قرار للأمم المتحدة يطالب بوقف فوري لإطلاق النار لم يكن مرتبطًا بشكل مباشر بإطلاق سراح الرهائن، مما سمح بتمريره.

متظاهرون يحرقون صورة وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن خلال مظاهرة في الرباط بالمغرب يوم الجمعة.

وألغى نتنياهو غاضبا اجتماعًا وجهًا لوجه في واشنطن، طلبه بايدن على وجه التحديد، بين كبار مستشاريه ونظرائهم الأمريكيين لمناقشة الخطط الإسرائيلية بشأن رفح، وعقد اجتماعًا افتراضيًّا بدلا من ذلك. ودعا نتنياهو، في خطاب ناري أمام الجمهور الإسرائيلي، مرة أخرى إلى إبادة حماس بالكامل، وقال إنه وافق على خطط اجتياح رفح.

وكما لو كان ذلك للتأكيد على عدم اتساق رسائل الإدارة – ومع مطالبة المزيد من الديمقراطيين بقطع المساعدات الأمريكية – فقد سمحت وزارة الخارجية منذ ذلك الحين بإرسال آلاف القنابل الإضافية إلى إسرائيل.

ويتشبث البيت الأبيض بالأمل في إمكانية التوصل إلى وقف للقتال قبل مرور وقت طويل. ويتواجد كبار مسؤولي المخابرات الإسرائيلية والأمريكية في القاهرة في نهاية هذا الأسبوع لمواصلة الجهود للتفاوض على وقف مؤقت جديد لإطلاق النار للسماح لمزيد من الرهائن بالعودة إلى ديارهم والمزيد من المساعدات إلى غزة. وكتب بايدن إلى قادة مصر وقطر يوم الجمعة لحثهم على استخدام أي نفوذ لديهم للضغط على حماس للموافقة.

وقالت حماس في بيان لها إنها سترسل وفدًا، لكن مطالبها – بما في ذلك وقف دائم لإطلاق النار والانسحاب الكامل لقوات "الاحتلال" من غزة – "لن يتم التنازل عنها".

لكن الاستفزازات الأخيرة زادت من تعقيد المحادثات. ففي الأول من شهر نيسان/ أبريل؛ أدت غارة جوية إسرائيلية على منشأة قنصلية مزعومة في دمشق إلى مقتل سبعة مسؤولين عسكريين

إيرانيين على الأقل قيل إنهم مسؤولون عن أنشطة بالوكالة في بلاد الشام، وتوعدت إيران بالرد.

وفي اليوم نفسه، وعلى الرغم من السماح لهم بالسفر داخل غزة مع الجيش الإسرائيلي، أصيبت ثلاث مركبات تابعة لشركة "وورلد سنترال كيتشن"، وهي وكالة إغاثة دولية مشهورة، بصواريخ أطلقتها طائرة إسرائيلية مسيرة. وقُتل ستة من عمال الإغاثة الغربيين، من بينهم أمريكي، وسائقهم الفلسطيني. واعتذرت إسرائيل وقالت إن ذلك كان خطأ.

وقال بايدن، وهو ما يعكس مستوى الغضب الدولي الذي أعقب ذلك، إنه "غاضب ومنكسر القلب" وهدد للمرة الأولى بتغيير سياسة الولايات المتحدة تجاه إسرائيل.

ويوم الجمعة؛ أعلنت حكومة نتنياهو أنها وافقت على مطلبين أمريكيين قائمين منذ فترة طويلة – فتح ميناء أشدود والمعبر الحدودي الشمالي الرئيسي إلى غزة في إيريز لتسليم المساعدات – وسوف تنشئ نظامًا جديدًا ومحسنًا "لمنع الاشتباك" لإيصال المساعدات وتجنب استهداف وسائل النقل الإنسانية داخل الجيب.

ولكن المذبحة في غزة، وعدم التوافق الجوهري بين ضرورات إسرائيل ومطالب الولايات المتحدة، لا تبدو أقرب إلى الحل.

ويرى ميلر، من مؤسسة كارنيجي للسلام الدولي، أن هناك طريقًا ضئيلًا أمام الإدارة. وردًّا على سؤال حول مآل الحرب بعد ستة أشهر من الآن، مع اقتراب الانتخابات الأمريكية بعد أسابيع فقط، قال: "أود أن أعتقد أن المرحلة الحركية للحملة البرية الإسرائيلية قد انتهت. لقد خرج المزيد من الرهائن، ودخلت المزيد من المساعدات الإنسانية. ولكنك لا تزال غير قادر على الالتفاف على حقيقة أن إسرائيل عازمة على قتل قيادة حماس".

المصدر: واشنطن بوست

رابط المقال : https://www.noonpost.com/208471/